حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد يناير – مارس ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

كتابة الذات في سيرة الغير
(قراءة في كتاب زوربا القرن العشرين/ عبدالله الجفري)

دلال بنت بندر المالكي *

أستاذ مساعد/ جامعة شقراء

المستخلص

يحاور هذا البحث ملامح السيرة الذاتية في الكتابة عن الغير في كتاب (زوربا القرن العشرين) للكاتب السعودي عبدالله الجفري، وهو كتاب خصصه عن محمد حسين زيدان، لما بين الشخصيتين من قرب، فقد جمعت بين الشخصيتين تلمذة في البدء وصحبة بعد ذلك، فمن الطبيعي أن تطغى الجوانب الوجدانية، على الكتاب ليس لهذا فقط؛ بل لأن الوجدانية هي سمة في كتابة عبدالله الجفري أيضًا؛ إضافة إلى ما حملته تلك الاختيارات السيرية من ملامح مشابهة مع شخصية الجفري، الذي بدا وكأنه يكتب ذاته من خلال الغير.

وعليه فقد ناقش البحث: الشكل الرئيسي للكتاب،و مصادر السيرة التي اعتمدها الكاتب، إضافة إلى العتبات السيرية، مع مقارنة بين الزوربا والزيدان والجفري في الشبه وبين الزيدان والجفري في الكتابة، مع التفصيل في فكرة البحث عن الذات في كتابة الغير.

الكلمات الدالة: الزيدان، الجفري، السيرة الغيرية، الذات، الزوربا.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة:

يحاور هذا البحث ملامح السيرة الغيرية التي تتجلى في كتاب (زوربا القرن العشرين) للكاتب السعودي عبدالله الجفري- وهو كتاب خصصه الكاتب عن للحديث شخصية محمد حسين زيدان – وبين ملامح الترجمة بوصفهما فنين موضوعيين، وبين (التكريم أو التأبين) بوصفه فنًا ذاتيًا، ويعد الاختلاط بين الذاتية والموضوعية أمرًا واردًا في هذا الكتاب؛ نظرًا للصلة التي جمعت بين الشخصيتين تلمذة في البدء، وصحبة بعد ذلك، فمن الطبيعي أن تطغى الجوانب الوجدانية على الكتاب ليس لهذا فقط؛ بل لأن الوجدانية هي سمة في كتابة عبدالله الجفري أيضًا؛ إضافة إلى ما حملته تلك الاختيارات السيرية من ملامح مشابهة مع شخصية الجفري، الذي بدا كأنه يكتب ذاته من خلال غيره.

وعليه فقد قسم البحث إلى عدة أقسام:

أولًا: الشكل الرئيسي للكتاب

ثانيًا: مصادر السيرة:

المشاهدة والاستقراء

الحوار المباشر

الرسائل

ثالثًا: العتبات السيرية

المولد والنشأة والتعليم والعمل.

موقفه من التراث

مؤاثراته الفكرية

متفرقات من سيرة الزيدان

وفاته وتأبينه بين الجفري والأصدقاء والأدباء

رابعًا: بين الزوربا والزيدان والجفري:

أ/الحياة

ب/الموت

خامسًا:الكتابة بين الزيدان والجفري:

أ/الإملاء

ب/ الأسلوب

سادسًا: موقف الزيدان من الحياة:

سابعًا: البحث عن الذات في كتابة الغير

استهلال:

أي أنها Biogrop يدخل هذا العمل في إطار السيرة الغيرية التي يطلق عليها بعض النقاد كلمة ترجمة

سير عن الغير.ومن شروط هذه السيرة أن تكون عن أولئك الأشخاص الذين أثروا حياة الأمم بالإنجازات؛ بحيث يقدم البحث ظروف حياتهم التي تجاوزوها، ولابد لكاتب هذه السيرة أن يتمثل ذلك الشخص في الزمان والمكان الذي ارتبط بهما[1].

ومن التعريفات التي تحدد مدلول السيرة الغيرية أنها:" هي البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ والكشف عن مواهبه وأسراره وعبقريته من ظروف حياته التي عاشها والأحداث التي واجهها في محيطه والأثر الذي خلفه في جيله"(٢).

وسيقف هذا البحث على جوانب مهمة من شخصية الأديب الراحل محمد حسين زيدان والتي تتماس في خطوطها العديدة مع شخصية عبدالله الجفري، ما يعلل لاختيار هذا الأخير الكتابة عن هذه الشخصية بعد وفاتها؛ ولا يمكن المرور دون الوقوف عند نقطة الخلاف حول ماهية هذا الكتاب الذي تغلب على لغته وعلى كتابة مؤلفه الخواطر، فللجفري كتب كثيرة في الخواطر ولهذا الكتاب لغة لا تفارق ذلك الأسلوب؛ ولكن الأرجح لدينا أن الكتاب يصنف على أنه سيرة؛ وذلك لأنه يتحدث عن شخصية معينة عبر مواثيق سيرية واضحة وإن غلبت على لغة كتابته العاطفة فلأن الشأن في التأبين؛ كما أن هذا الكتاب قد صنف لدى بعض الباحثين أيضًا في في دراساتهم المخصصة عن الجفري في السير(٣)، فإذا ما سلمنا أن هذا الكتاب هو في االسيرة، فيبقى السؤال: هل السيرة هنا ذاتية أو غيرية، فالذاتية التي يعرفها فيليب لوجون بأنها:" حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته"(٤)، يلتقي كثيرًا مع هذا العمل الذي يجمع الزيدان بالجفري في أكثر من نقطة التقاء لا يكتب الجفري عنه إلا من خلال هذا الالتقاء، كما أن التركيز على جوانب الالتقاء هذه سيجعل من عنصر الصدق والصراحة في ما يكتبه الجفري عن نفسه مؤكدًا؛ لأن الشواهد بينهما متحققة، وهذا العنصر وأفصد به الصدق مهم جدًا في مدونة السيرة، وهو مايكسب السيرة قيمة تاريخية واجتماعية(٥).

ومهما حاولنا التأكيد على نوعية الكتاب وتجنسيه يظل الأمر فيه من الصعوبة مافيه فالكتاب:" يقتصر على وجه واحد من وجوه شخصية صاحبه وهو وجع عام وليس وجهًا خاصًا، فهو ليس قصة حياة شخصية"(٦).

أولاً: الشكل الرئيسي للكتاب:

يأخذ الكتاب طابعًا فنيًا في لغته الوجدانية المتأثرة بحدث الوفاة؛ إذ بادر المؤلف الجفري في تصنيف الكتاب بعد سماعه خبر الوفاة الذي أصابه في مقتل؛ نظرًا للصلة التي ربطته بالزيدان، ويتلخص شكل الكتاب في إقرار المؤلف منذ مدخل الكتاب أن هذا العمل:" ليس دراسة نقدية لأدب، ولفكر، وللرؤية التاريخية، لدى أستاذنا ومعلمنا الكبير(محمد حسين الزيدان) يرحمه الله...إن هذا الكتاب: تعبير عن عزاء (الكلمة) عن عزاء (الحب) "(٧)، وهو هنا ينتهج منهجًا علميًا في تعليله لوجود هذا المصنف، وهي طريقة تلامس المنهج العلمي، وتكشف عن أسباب نفسية عاطفية ، أكثر من كونها أسبابًا علمية موضوعية للاختيار؛ وهذا يعيد إلى دوافع الكتابة في السيرة والتي تدور غالبًا حول:" التبرير والرغبة في اتخاذ موقف من الحياة ، والتخفف من ثورة أو انفعال وتصوير الحياة المثالية والحياة الفكرية"(٨) ؛لذلك فمن الطبيعي أن تأخذ فصول الكتاب أيضًا تصنيفات تبتعد عن الصورة العلمية التي تتشكل فيها أبواب الدراسة السيرية الموضوعية، بل أخذت العناوين تتشكل في لغة حزينة تصور حدث الوفاة ووقعه على الكلمة التي أحبها الزيدان واشترك معه فيها الجفري في مثل:(الكلمة: تتجرع الصاب)، أو في شكل استعارات شعرية مثل: (جبل"سلع" ومحني الضلوع)، أو في شكل تساؤل مثل: (ما أدرانا بالحدس؟!)، أو تعيين وسيلة من وسائل التوثيق المعلوماتي وهي الرسائل مثل: (رسالتان متبادلتان)، و (حواراته)، و (حوار معه عن العاطفة والخيال) أو حالات نفسية أو إنسانية أو وطنية أو أدبية تميز شخصية الزيدان مثل:(دمعته)، و (الوطن في

تعريفه وانتمائه)، و(كلمات شهدت مولدها)، و (من أقواله)، أو أقوال تأبينيه مثل: (قالوا عنه).

وتمثل هذه السيرة الغيرية قراءة تستبطن شخصية الزيدان في الجوانب المشتركة بينه وبين الجفري، إضافة إلى كونها ترصد انفعالات شعورية آنية لحدث الوفاة، وما يرتبط به من أحداث ترد إلى الذاكرة مع وقوع الحدث على المتلقي الحزين. ولم يسع المؤلف إلى التلاعب الفني بالأزمنة والأمكنة التي تشعر بأن القارئ أمام عمل فني بالدرجة الأولى، بل ظل القارئ بين دفتي توقع توهم به اللغة التي تميز بها الزيدان والجفري أيضًا مع طبيعة أسلوبه السردية إلى أن توقف الكتاب عند العتبات الأخيرة التي تعتمد على جانب التوثيق والرصد والتي يهتم بها علم السيرة، إضافة إلى أن الجفري قد استثمر الكتابة عن الزيدان للكتابة عن نفسه في قراءة غير مباشرة؛ هكذا أبحت السيرة تعبيرًا ذاتيًا عن مشاعر كاتبها ووجدانه وظروفه النفسية، يرضي بها نزعاته ودوافعه، وتجسد أمانيه ومطامعه"[٩].

كما كان للانتقائية في اختيار الموضوعات التي تضمنها الكتاب دور كبير في تعتيم تصنيف الكتاب بين الذاتية و الموضوعية؛ إذ ركز الكتاب على جوانب معينة تربط الجفري بالزيدان ولم يعمد إلى الاستقصاء والبحث فيما يتعلق بتخلق هذه الشخصية، وكاتب السيرة الغيرية لا يلجأ للكتابة إلا وهو يحاول استيضاح تجربته من خلال ما يكتب عنه وكأنه بذلك يقف على أجزاء فكره، لذلك فهو يستغرق في حياته باحثًا عن ألوان الصراع النفسي أمام الأحداث التي تصورها الحياة التي يكتب عنها، فهو يكتب عن غيره ليفهم نفسه؛ فلئن كانت السيرة الذاتية يكتبها شخص واقعي في عمر ناضج يستدعي موقفًا من مواقف الحياة وأحاسيسه وتكون هذه البواعث طريقته لتنظيم الذكريات[١٠]، فهذا هو مايحدث تمامًا في هذا النوع من الكتابة السيرية الذاتية الغيرية الملتبسة بين الذات والآخر.

هكذا وللدوافع المتعلقة بالفاجعة من جهة وبالذات الجفرية من جهة أخرى فإنه لم يراع في تدوين هذا الكتاب التسلسل الزمني للمواقف، ولم تقسم السيرة غير المباشرة بمراحل، وافتقدت المنهج العلمي، فلم يكن الغرض الكشف العلمي الموثق عن الشخصية وعناصرها بقدر ماكان قياس الفاجعة بموته على التلميذ الجفري كما أنه أغفل الأحداث التاريخية في حين أنه يكتب عن مؤرخ ، لكنه لم يعدم محاولة الكشف عن المؤثرات الأدبية والنفسية في تشكل الشخصية الأدبي؛ لذا تأخذ هذه السيرة طابع الكتابة التعليلية التفسيرية التي تكشف عن ذات المؤلف أكثر من الشخصية موضوع الكتاب.

وهنا لابد من الإشارة إلى جانب مهم في العمل السيري وهو الميثاق الذي يعقده المؤلف مع القارئ منذ فاتحة الكتاب وتكمن أهميته:" في الدور الرئيس الذي يؤديه في تحديد النمط البنائي للنص السير ذاتي فهو بوصفه مقومًا أساسيًا لا يجعل من النص غفلًا مبهمًا، بل يسنح بتهيئة أفق القارئ منذ البدء حينها يكون قد وقف على مرجعية النص"[١١]، وهو مالم يلتزمه الجفري في هذا الكتاب الذي أخرجه دون أن يضع عليه أي ميثاق نوعي يبنى بينه وبين المتلقي، ومع ذلك فهناك نصوص تخلو من :" الميثاق الصريح فلا يحدد صاحب النص هويته على الغلاف... إلا أن التوافق بين سيرة الكاتب وعمله يقود إلى أنه قد صاغ سيرته"[١٢].

كما أن جانب الزمن في هذا الكتاب لا يأخذ شكلًا متسلسلًا تاريخيًا بل هي استدعاءات بحسب الذكريات التي تطرأ والمشابه الذاتي للجفري الذي يثير وجودها، وهذا

لا يعد عيبًا في العمل الذاتي:"فالترتيب الزمني الخطي ليس بأمر متأصل في الطبيعة، بل إن الذاكرة ليست خطية، بل هي في الحقيقة أكثر عرضة لروابط التداعي، وفعل إعادة بناء الماضي من خلال حاضر المؤلف، ليس بعملية ترتيب زمني أو خطي، بل إن التجربة الأساسية لا يتم تشفيرها خطيًا، بل ترافقها قفزات عقلية كثيرة تتراجع وتتقدم في الزمن"(١٣).

ثانيًا: مصادر السيرة:

أ/ المشاهدة والمعايشة: وتعتمد الكتابة في هذه الحالة على وثائق ومعلومات أدق، وحقائق أصدق؛ لكنها في كثير من الأحيان لن تخلو من الأحاسيس والمشاعر؛ لأن المعايشة قد تعني الاتصال إما بالصداقة وهذه تجعل الكاتب يميل مع الشخصية، أو بالعداء وهذا يجعل الكاتب في منطقة الضد، وفي حالات قليلة جدًا سنجد أن الكاتب يلتزم الحياد، ولا أعني بالميل مع أو الضدية أي الجور البائن؛ لكن الأمر قد يجعل الإنسان من شدة المحبة يميل إلى موضوعات عاطفية خاصة ويغفل عن أخرى مصيرية مهمة، أو ما يشبه ذلك مع شخصية أخرى لا يتفق وأفكارها، وهذا غالبًا ما يحدث؛ لأن الكتابة عن الغير لها دواع أهمها الميل والتشابه مع الشخصية؛ وهذا النوع من السيرة:" يسميه النقاد (السيرة الحميمية)؛ لأنها تركز على الجوانب الشخصية أكثر من اهتمامها بالمظاهر أو الظواهر العامة. ويتفنن كتاب السيرة في استخدام كل الوسائل الممكنة لكي يعيشوا بكل جوارحهم في عالم الشخصيات التي يكتبون عنها، ولا يتركون شاردة ولا واردة إلا ويحاولون تحليلها وتمحيصها وربطها بأفكار الشخصيات وأقوالها وأفعالها"(١٤).

ب/ الحوار المباشر: وقد اعتمد الجفري كثيرًا على هذا الجانب سواء في حوارات منشورة أوحوارات شفهية خاصة جمعت بين الشخصيتين نقل جزءًا منها في هذا الكتاب، ويبدو من خلال البطاقة التي قدمها المؤلف في بداية الكتاب أن تلك البطاقة التعريفية كانت ضمن مقابلة أجريت مع الزيدان من خلال السؤال عن الاسم والميلاد والمكان والتاريخ، والمؤهلات وحكمته وبرجه(١٥)، ومن المواضع التي تكشف أيضًا عن تلك الحوارات غير المعلنة ما يأتي في ثنايا حديثه وسرده عن خصوصيات الزيدان والتي تشي بأنها نتاج حوارات بينه وبين الزيدان خاصة في تعليل الزيدان لأسباب تركه الكتابة(١٦) أما الحوارات المعلنة في الكتاب والتي رصدها المؤلف فمنها ذلك الحوار الذي أجراه ملحق البلاد عام ١٣٩٢هـ، وهو يحمل عنوان رحلة في أفكار هذا الرجل كان أهمها موقفه من التراث(١٧). إضافة إلى حوار آخر نقله الجفري من الملحق الأدبي لصحيفة الرياض عام ١٣٩٢هـ ، وقد أجراه معه تلميذه عبدالله الماجد، وكان تحت عنوان: (رحلة البحث عن الجواد الهارب ..بين الزيدان والجفري) وهو عبارة عن أطروحات وقضايا تعكس رأي الأستاذ الزيدان، والتلميذ الجفري، وكان من أهم تلك القضايا: الرمز عند نجيب محفوظ، استلهام قضايا المجتمع، قواعد القصة الحديثة، العاطفة، العشق، الرحالة والمعرفة (١٨).

ج/ الرسائل: تعد الرسائل إحدى الوثائق الرسمية في رصد ملامح السيرة الغيرية، وعن طريقها يمكن كسب ثقة القارئ، وتأكيد الثقة بين القارئ والمستقبل خاصة حين يكون أحد أطرافها على قيد الحياة، وتؤدي كذلك تلك الرسائل نوعًا من التواصل الفكري خاصة مع الأدباء الذين اختاروا الوحدة؛ إذ تمثل:" فنًا للانتصار على الوحدة والعزلة، تمامًا كما يحدث في حلبة القفز مثلًا"(١٩) وقد تكون هذه الرسائل سرية أو معلنة. أما السرية فهي كتلك التي تكون بين حبيبين أو صديقين في موضوعات خاصة بعد وفاة أحدهما يكشف الآخر عن تلك الرسائل التي تحمل كثيرًا من ملامح تلك الشخصية، أو رسائل معلنة عادية كتلك التي تكون بين الأصدقاء أو الوالد وأبنائه وتحمل شيئًا من الوصايا أو النصائح

أو الحكم، كما تحمل شيئًا من هاجسه الحياتي والفكري والعلمي، وقد كان بين الزيدان وطلابه شيئًا من هذا لكنها كانت رسائل معلنة عبر الإذاعة أو الصحافة وظهرت قبل وفاته ويعيد الجفري نشرها في هذا الكتاب، ويذكر الجفري منها رسالة بعث بها إلى الزيدان عبر الإذاعة في أحد برامجه شبهه فيها بالرافعي الذي لم يكن يكتب بل لم يكن يطيق الإمساك بالقلم، وكلما كان يفعله أن يقف وسط الغرفة يدور ويهدر ويملي أفكاره "كما أنك تشبه أيضًا الزيات"(٢٠). ويبدو هنا أنه يشير إلى ذلك الجانب الخفي في الزيدان والذي لم يكن يعرفه الكثير وهو أنه كان يملي كتاباته على الجفري؛ حيث يقوم الأخير بتدوينها، ولم يكن يكتبها الزيدان بنفسه، كما أن فيها إلماحة أخرى إلى الهاجس الصوتي الساحر في بلاغة الكلمات التي كان ينتقيها الزيدان وتذكر القارئ ببلاغة الرافعي، إضافة إلى تضمينه هذه الرسالة سؤالًا وجهه للزيدان عن سبب استغلاق فهم الرافعي على بعضهم، كما تضمنت الرسالة سؤالًا آخر عن الفكر العربي، والفرق بين كتابات الرافعي والزيات وطه حسين والاختلاف الفكري بينهم، وانتقل من هذا الفضاء العام للفكر والكلمة إلى السؤال الخاص للزيدان عن عدم تفرغه للكتابة برغم قدراته.

وقد تولى الزيدان الرد على هذه الرسالة التي يبدو أن الجفري قد عرضها على الزيدان قبل إرسالها عبر الأثير، والتي وضح فيها سبب عسر فهم الرافعي عليه وانقلاب ذلك إلى إعجاب؛ ذلك أنه يقرأ بالأذن لا بالعين، مركزًا على أن حرفة الرافعي قد صنعها القرآن الكريم ، ثم ينتقل للحديث عن الفرق بين أسلوب المنفلوطي وطه حسين والزيات والرافعي والسباعي وحافظ، تلك الأساليب التي لا يمكن لها أن تكون ذات نهج واحد(٢١).

أما الرسالة الثانية والأهم فهي تلك التي وجهها الجفري للماجد عبر برنامجه الإذاعي لكن الرد لم يأت يومها من الأديب الشاب الماجد إنما كان من الزيدان الذي هاتف الجفري ومؤكدًا أن الماجد قد ترك الكتابة على الأدب معتمدًا في ذلك على رسالة كانت بينه وبين الماجد أطلع الجفري عليها، كانت تحمل إشادة الماجد بأسلوب الزيدان وإدراكه للقدرات الكامنة والتي لم يسمح لها بالانطلاق بعد(٢٢). و هنا نشير إلى أن كاتب السيرة الغيرية هو بحاجة ماسة إلى جمع الوثائق والشواهد عن حياة الآخرين ومزجها مزجًا متعادلًا ثم صياغتها بعيدًا عن الذاتية المفرطة.

ثالثًا: العتبات السيرية:

أ/المولد والنشأة والتعليم والعمل:

تلازم السيرة الذاتية التاريخ، وتشب وتنشأ في حضنه:" وهي تتحدث عن فرد منذ ولادته ونموه وتعليمه وتربيته إلى لقاء ربه تعالى"(٢٣)، وهذا الكتاب الذي نحن بصدده هو سيرة غيرية وهي تختلف عن السيرة الذاتية في أن هذه الأخيرة تعتمد على :" العنصر الذاتي، بينما السيرة العامة، قائمة في المقام الأول على الاتجاه الموضوعي. فلابد أن يكون من يكتب سيرة غيره موضوعيًا في النظرة إلى صاحبه، وإلى الأشياء والحقائق المتعلقة به، كما لا يمكن أن يكتب سيرة نفسه إلا إن كان يبصر الحقائق المتعلقة بذاته على نحو ذاتي"(٢٤). تتشكل العتبة السيرية الأولى في التعريف بالأديب الزيدان، الذي يتجلى منذ مدخل الكتاب في البطاقة التي عرّفت باسمه ومكان ميلاده وتاريخه، ومؤهلاته العلمية، والجهات التي عمل فيها ، إضافة إلى الحكمة التي ترافقه، والبرج الذي ولد فيه، وهي عتبة تعريفية بشخصية الكاتب موضوع الكتاب(٢٥)، وهي تأتي في افتتاح الكتاب في تعريف موجز مختصر، دون أدنى إشارة إلى مصادر تلك المعلومات، غير أن طبيعة

مصادر المعلومات التي حواها الكتاب بصفة عامة تشي بأن مصدره في تلك البطاقة التعريفية اللقاءات الصحفية التي أجراها مع الزيدان، وقبل ذلك معرفته الشخصية به.

ويأتي الحديث عن هذه العتبة الأساسية في موضع آخر في فصل عنون بـــ(جبل سلع ومحني الضلوع)؛ حيث أشار الجفري إلى مكان ولادة الزيدان على وجه التحديد؛ إذ ولد في سفح جبل سلع شمال المدينة المنورة وهناك يسرد بعض ذكرياته مع المكان، حين كان يملي الجفري مقالًا عن الحنين إلى مسقط الرأس، حيث فاض بالشوق قائلًا:" وكيف أنسى (حوش خميس)، وبيت الشعر، والمرأة العجوز الكفيفة البدوية الممتدة من عالية نجد، واسمها (ميثاء الوضيان) وهي التي كانت حضن أمي البديل بعد أن فقدت حنان الأمومة في بدء مولدي"(٢٦)، ومن بين الذكريات تقفز إلى الواجهة فخره ببدوية جدته وأمه، والفقر والتقشف.

أما ألقابه التي عرف بها وأحبها فكان من أهمها الرجل العُمري:" فقد كان محبًا للخليفة العادل: عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشهد في كثير من آرائه وصوره، ومقالاته ومحاضراته.. بمواقف عمر بن الخطاب"(٢٧).

يعود الجفري للحديث عن حياة الزيدان في موضع آخر تحت عنوان(الوجه الآخر..هو وجهه الواحد)، تناول فيه حياته الخاصة، في تعريفه بنفسه، ورأيه في عمر الرجل، وقصة زواجه لمرتين، وأسباب طلاق زوجته الأولى، وأولاده الذين رزق بهم فقط من زوجته الثانية، وهم اثنا عشر ولدًا، ست بنات، وستة أبناء فيما توفيت ابنته من زوجته الأولى بعد طلاقه لأمها، إضافة إلى أسباب الزواج من الأولى والثانية، وعدم تحرجه من ذكر أسماء بناته، وعرج في حديثه عن أبنائه إلى طريقة تعليمهم، وتعامله معهم.

وغاص الجفري من خلال اللقاء في أعماق الخصوصيات الزيدانية فيما يتعلق بمخاوفه، وأصدقائه، إضافة إلى ذكرياته مع الحب، وتخصصه العلمي الذي كان يتمنى أن يتخصص فيه، كما منح الزيدان الفرصة للحديث عن القضية العامة والخاصة التي تهم الزيدان.

وعن ميوله الفنية، يذكر في لقاء له مع الجفري عن حبه للاستماع إلى أم كلثوم وأغنيتها" سكت والدمع تكلم"، وفيروز أغنيتها عن القدس وليلاسمين الخيام " أرض الفيروز"، ومن محمد عبدالوهاب " الهوى والشباب والأمل المنشود ضاعت جميعها من يديا".

كما تحدث الجفري في هذ اللقاء الخاص مع الزيدان عن قضايا عامة كشفت عن رأيه في الزواج، والمرأة، والتاريخ.

ب/ موقفه من التراث:

ويعرض الجفري آراء متفرقة في التراث للزيدان فهو محور اهتمامه: " التراث في أي شعب من الأسطورة والحكاية والحقيقة والفن. هي كلها عرق هذا الإنسان أي عراقته والأديب بهذا العرق أي بالتراث دق إحساسًا...

غير أنه بهذه الفوقية التي هي ميزة تشقي؛ لأنه يترك ذاته ويشعر بمن حوله بما حوله فمأساته ينساها في بهجة الفرحة لأفراح الآخرين، وأفراحه يحتويها أمام أتراح الآخرين. الآخرون هم الناس هم التراث هم"(٢٨).فهو هنا يرصد أنواع التراث التي هي مجموعة من الأساطير والفنون والحقائق والحكايات الخيالية، وهي كلها جزء من الإنسان مهما حاول أن يخرج منها فهي بمثابة العرق الذي يتغذى بالدم الواحد، وهكذا يتحد أفراد الجماعة الواحد بعرق واحد هو التراث مما يجعل الفرد يتناسى ذاته وينغمر في الجماعة.

وامتدادًا لمفهوم التاريخ الخاص به يقول:" التاريخ التراث حين ركضا إلي ركضت إليهما تقابلنا بأنه قد كتب وتعارفنا على أنه يجب أن يفقه. فالتاريخ الاستقراء لا حاجة إلى

تغييره، والتاريخ الفقه في حاجة إلى استنباطه وتفسيره. لأن الحدث ليس هو التجسيد لواقع الحال والتشخيص له. من هنا تبدو الرواية صادقة ولكن الصدق معها والصداقة لها أن تفقه أن تستنبط منها الدوافع التي أحدثتها"[٢٩].

و يعرض إلى الموقف الجامد من التاريخ والوقوف على صدقه وخلقه، ويؤكد على أن أهمية التاريخ تكمن في الاستباط والتفسير الذي يقود إلى تفسير الأحداث والاستفادة من تلك المواقف في استشراف المستقبل، وهو في رأيه هذا يتفق مع غادة السمان في التراث الذي تعرضه قائلة:" لقد آمنت أن قطع جذور الشجرة لا يساهم في التعجيل بنموها، وبالمقابل فإن التراث لم يوجد لنكرر مافعله أجدادنا العظام، بل لنتابع الرحلة ونحن نهتدي بتجربتهم"[٣٠]، مع عدم التعصب المبالغ فيه للعروبة على ألا تتخلى عن عاداتها الأصلية التي تميز ملامحها الاجتماعية الدالة على جذورها وطبيعتها، وتأمل تلك العادات والموروثات لفهم أفضل للمجتمعات ؛ لذلك يبتكر طريقة في تجديد التاريخ ونشره والاستفاده منه يعرضها هنا بقوله:" التراث العربي: يحتاج إلى تجديد العرض له، وحبذا لو يفصل في كتب الجيب، وحبذا مرة أخرى لو يجرد من العنعنات، لأن وقت القارئ لا يطيق اتساع التطويل وطول التراجم"[٣١].

ومن اهتمام الزيدان بالتاريخ والتراث يتولد اهتمامه بالزمن ويضع له رؤيته الخاصة إذ:" الزمن في إحساسه هو خفقة الوجود،والوجود في احتفاله به، هو: الحواس والمشاعر التي تقود حواسه ورؤيته وخطواته وخواطره، وكان يتوقع الفرح دائمًا ...بالإصرار على طرد الأفكار التي تنغص عليه"[٣٢].

ج/مؤثراته الفكرية:

ويتجلى التراث رافدًا مؤثرًا في فكر الزيدان فقد كان المتنبي حاضرًا في شعره [٣٣]، كما كان يستشهد كثيرًا بأبيات ضياء الدين رجب صاحب أول شرشورة في المدينة المنورة.

وإلى جانب اهتمامه بالتراث لم يغفل الأدب الحديث؛ فلشدة تأثره بالجواهري كان يسميه الجفري جواهري الكلمة وأعطى مثالًا لذلك ليلة بدأ يستعيد ذكريات رمضان وما يحمله من ذكريات وشجن[٣٤]، كما كان يستشهد بأبيات الشريف الرضي، كما كان يورد أبيات ابن خياط شاعر العصر العباسي التي منها: وفي الركب محني الضلوع على جوى متى يدعه داعي الغرام يلبه[٣٥]. ومما يعبر كذلك عن إعجابه بالأدب الحديث الرسالة التي بعثها الجفري للزيدان عبر الإذاعة وصفه فيها بأنه يشبه الرافعي الذي لم يكن يكتب بل كان لا يطيق مسك القلم لكنه كان يقف وسط الغرفة يدور ويهدر ويملي أفكاره كما أنك تشبه أيضًا الزيات[٣٦]، وهو بهذا يشير إلى الجانب الموسيقي في لغة الزيدان المتأثرة بأسلوب الرافعي، ولتيقن الجفري من هذا الجانب المشترك فقد ضمن الرسالة سؤالًا عن مدى تأثير الزيات والرافعي في مسيرة الفكر العربي وليس الأدب العربي؛ لأن جهود الفكر العربي تعاني من نقص في التغذية[٣٧]، وقد رد الزيدان في رسالة على تساؤلات الجفري في الإذاعة وضح فيها سبب عسر فهم الرافعي عليه وانقلاب ذلك إلى إعجاب؛ لأنه يقرأ بالأذن وقد صنعت حرفة الرافعي القرآن الكريم [٣٨].

وممن تأثر بهم أيضًا المنفلوطي وطه حسين والرافعي والسباعي وحافظ[٣٩].

د/متفرقات من سيرة الزيدان:

تضمن الكتاب إيراد جوانب فكرية وشخصية وإنسانية في شخصية الزيدان سواء على لسان الجفري أو من شاركوا في تأبينه ونقل عنهم الجفري، ولكنه كان حديثًا عابرًا يفتقد إلى العمق لكنه يلامس جوانب متعددة في شخصية الزيدان، ولم يكن المجال لبسطها لكنه مرور عابر، ومما يلامس الجانب الفكري:

التذكير بكلمات ذاعت للزيدان منها: الكيان الكبير، التلفاز، المذياع، المجتمع دفان، شباب القلب، ينقصه الذي ينغصه، هندسة الكلمة، الفسوق، الرواية، الحنين، ويد الشيخ كاسه(٤٠)، ومنها أيضًا الحديث عن الوطن عند الزيدان(٤١) ، وكلمات شهد مولدها: الفسوق، الرواية،الحنين(٤٢).

وأخرى تلامس الجانب الإنساني مثل: الأحلام، الغزل بالرجل، سناء محيدلي(٤٣)، فن العلاقات(٤٤)، والموظف ومدح الرجل بما ليس فيه وشكوى التراب، مسيرة الحب والعاطفة(٤٥).

وأخرى ثقافية مثل: ونقد علوي الصافي وعبدالغفور عطار ومهاترات الصحف(٤٦).

وبعضها شخصي مثل الحديث عن العمر والشباب، والزواج، والأولاد، والفرق بين الجيل المعاصر والجيل القديم،و الخوف،و الأصدقاء، و الحب والزواج، و دور المرأة، والأمومة والأبوة،(٤٧). وفي مواضع متفرقة جاء الحديث عن علاقة الزيدان بتلاميذه الذين يعد الجفري أبرزهم، بالإضافة إلى عبدالله الماجد وهو تلميذه وصديقه ،و علوي طه الصافي(٤٨).

د/وفاته وتأبينه بين الجفري والأصدقاء والأدباء:

يأخذ النعي والتأبين ثلاث صور:

الأولى: نعي الجفري لأستاذه وتأبينه له على مستوى نعي التلميذ لأستاذه. وتأتي هذه الصورة في مشابهة بين صورتي الزوربا والزيدان في طريقة وصول الخبر من خلال البرقية التي تعلن وفاة الصديق العجوز الذي هو للجفري الزيدان (٤٩)، والذي ما إن وصله مباشرة الخبر في تلك البرقية حتى بادر في تصنيف الكتاب.

ويبدو أن الجفري قد أزمع صب مواجعه وتفجعاته في هذا الكتاب؛ إذ لا يكاد يجاوز محطة استذكاره لمواقف جمعته بالزيدان حتى يعود متوجعًا متفجعًا من الحدث الذي وقع؛ لذلك فلا غرابة أن يعود في أواخر الكتاب وبعد أن سرد أقوال الأصدقاء والأدباء الذين فجعوا بالخبر، إلى تخصيص مايزيد عن عشر صفحات في نعيه مجددًا(٥٠)، ويعنون هذا النعي (الزيدان .. الزيدان..الزيدان..)محاولًا إشعار القارئ بحجم فجيعته، مما يجعل المدونة أقرب ماتكون إلى ندب الراحل أكثر من كونها تدوينًا لسيرة ، وقد تضمن نعيه في هذه الصفحات، نعي الكلمة المسموعة ووصف لحالة الزيدان من فخره بذاته وقوته في الحق وتعداد مآثره النفسية التي كان بها يتجاوز المصاعب الحياتيه والعلمية والأدبية.فيما جعل القسم الثاني من تلك الأوراق في نعيه قبل وفاته؛ ذلك الذي حدث من خلال تكريمه في نادي جدة، وكأنما رأى الجفري في ذلك التكريم وداعًا للزيدان فامتنع عن الحضور وهو في هذا الجزء يتحدث عن وقع حدث الوفاة على نفسه في وقت مبكر قبل تلقي خبر الوفاة الفعلي الذي هو انقطاع الروح عن الجسد، وقد سرد في تلك المقالة مجموعة الدروس التي تعلمها من الزيدان في الرؤية التي كونها من خلال تجربته الأدبية وتجارب الأدباء الذين قرأ لهم.

الثانية: نعي الكلمة للزيدان وتأتي أيضًا في صورة تخيلية على قلم الجفري؛ حيث يعلل الجفري للغة الحزينة التي طغت على أسلوبه في الكتابة التأبينية أنها نابعة من الكلمة ذاتها التي أحبها يومًا؛ لأنها فقدته فهي تنعاه في حزن، وليس حزنًا لوفاته فقط بل لافتقاده من

قبل؛ ذلك أنه آثر الصمت قبل وفاته وبقي مدة من الزمن بدون أن يكتب أو يملي على الجفري شيئًا؛ وذلك نظرًا للتعب الذي اعتراه في أخريات حياته [٥١]؛ ولشدة وقع هذه المأساة على الكلمة أكثر من وقعها على الجفري فهو يجعل (الكلمة: تتجرع الصاب) مدخلًا للكتاب والنعي، وهو يزاوج في هذا المدخل بين فجيعة سيقور التلميذ (الجفري) وفجيعة الكلمة.

الثالثة: رثاء الأصدقاء والأدباء للزيدان: وقد أخذ هذا الجزء الذي رصد أقوال الأدباء والأصدقاء في نعي الزيدان حيزًا قارب الخمسين صفحة[٥٢]، جاء الجزء الأول منها بعنوان: قالوا عنه: الأمير ماجد بن عبدالعزيز، الأمير خالد الفيصل، الأمير فيصل بن فهد، حسين عرب، مشعل السديري، الدكتور حسن ظاظا، الدكتور أحمد هيكل، الدكتور عبدالقادر القط، حسن عبدالله القرشي، حامد مطاوع، عبدالعزيز أحمد ساب، الدكتور منصور الحازمي، فهد العريفي، أحمد محمد جمال، طلال مداح، محمد عبده.

وعنون الجزء الثاني بـــ(كتبوا عن الزيدان/ بعد وفاته) وهي كتابة تتضمن عرض رأي الأديب في الراحل ثم يعقبه بما قاله الزيدان عنه قبل وفاته، ومن ضمن من كتبوا عنه: الأستاذ محمد عمر توفيق، والمؤرخ حمد الجاسر، والأديب عزيز ضياء، والصحافي عبدالغني قستي، والأستاذ عبدالله عمر خياط، والشاعر محمد حسن فقي، والشيخ أبو تراب الظاهري، والأستاذ أمين عبدالله القرقوي، والدكتور هاشم عبد هاشم، وقصيدة من الشاعر محمود عارف، والناقد معجب الزهراني، والدكتور عبدالعزيز شرف، والقاص حسين علي حسين، والأستاذ عبدالمقصود خوجه، والأستاذ تركي عبدالله السديري، ورأي للشاعر سعد الحميدين، والأستاذ عبدالله باجبير، والأديب محمد عبدالواحد، والأستاذ عمر أبو زيد، والأستاذ علي محمد الرابغي، والأستاذ علي محمد حسون، وقد خصص كذلك جزءًا منفردًا لحديث ياسين طه صديق العمر عن الزيدان، عرض فيه لاختلافاته معه في الرأي، و متابعته الأخبار، وذاكرته وعلمه، واعترافاته [٥٣]، كما خصص جزءًا آخر منفرد ومستقل لحديث مشعل السديري الصديق أيضًا للزيدان ركز على وقع الخبر المؤلم خبر الوفاة[٥٤]، ثم العود على بدء خاتمة الحديث المتفجع من الجفري.

وتستحق هذه الكلمات التي صدرت من هذه الشخصيات قولًا أو كتابة عن الزيدان وقفة تأملية، ومقارنتها بين ماقالوه وماقاله عنهم قبل وفاته، مع الإشارة إلى أن الكتاب لم يسجل أقوالًا شاملة للزيدان عنهم، ويلاحظ على هذه الكتابات غلبة الطابع التفجعي الحزين وهو طابع فرضته صيغة الكتاب والحالة الانفعالية التي كتبت فيها تلك الكلمات، وقد كانت الغاية من مثل هذه الكتابة :"تخفيف العبء على الكاتب بنقل التجربة إلى الآخرين ودعوتهم إلى المشاركة فيها فهي متنفس طلق للفنان يقص فيها قصة حياة جديرة بأن تستعاد وتقرأ وتوضح موقف الفرد من المجتمع...وتريحه نفسيا لأنها تستند إلى الاعتراف "[٥٥]، وهو هنا يتجلى في كتابة الغير عن الزيدان.

رابعًا: بين الزوربا والزيدان والجفري:

يتمثل زوربا الشخصية اليونانية في شخصية الزيدان في حين يمثل الجفري شخصية نيكوس كزانتزاكي الكاتب، وأول ما تظهر هذه العلاقة بين الكاتبين في افتتاحية الكتاب من خلال خبر النعي الذي نقله الجفري؛ ويمكن تلخيص العلاقة بين الأقطاب الثلاثة –الزوربا والزيدان والجفري– في علاقتين ثنائيتين؛ هما:

أ/الحياة: وتتمثل هذه الحياة في كلمتين (الحكمة والكلمة) ولئن كانت الحكمة هي ما بحث عنه نيكوس الكاتب في صحبته مع زوربا فإن الكلمة هي العشق الذي جمع الزيدان والجفري، ولئن كان زوربا أميًا لا يقرأ ولا يكتب في حين كان نيكوس كاتبًا، فإن الزيدان كان كاتبًا من أعظم كتاب عصره؛ ولكن مع ذلك فقد كان الجفري يدون كل ما ينطق به الزيدان أمامه وكأنه يستمع للوحي ينزل من السماء، لقد ربطت الكلمة بين الجفري والزيدان في علاقة عشقية ترتبط بالمشاعر، ووسيلة هذه العلاقة السمع؛ حيث كان الجفري يرهف السمع في حضرة الزيدان، وهذا الشغف أيضًا ربط الزيدان بالكلمة وحتى تتوطد تلك العلاقة بينه وبين الكلمة –الزيدان والكلمة– كانت العلاقة تمتد إلى النطق ولا تتجاوزها للكتابة في بعض الأحيان؛ إذ لم يحرص على كتابتها بقدر إملائها، فقد كان يملي تلك الكلمات على الجفري الذي يحرص على تدوينها أشد الحرص وذلك بعد أن يستمتع الزيدان بنطقها وسماعها.

إن علاقة العشق التي غالبًا تربط المرأة بالرجل ربطت بين الزيدان وكلماته التي كان يحب تسميتها بالأنثى، وهي تسمية فيها تركيز على الجوانب المادية في المرأة، والتي غالبًا لا تطيق المرأة التسمي بها؛ لذلك يرى أن من تكره من النساء تسمية الأنثى هي في الغالب تلك التي فقدت صفة الجمال(٥٦).

ولا تتمثل علاقة الزيدان بالكلمة بالعلاقة العاطفية المادية والمجردة فقط، لكنها أيضًا تتمثل في علاقة عقلية وتؤكد قدرته على الكتابة التي تتمثل في محاورة الكلمة في العقل قبل تجسيدها حروفًا على الورق؛ لأنه يحترم الكلمة ويطرب لها(٥٧)؛ غير أن علاقة الحب هذه بالوصال لم تدم ؛ حيث قرر في فترة تسبق وفاته التوقف عن الكتابة ثم استسلم لصمت طويل، يأتي على أسبابه في أحد حوارته مع الجفري(٥٨)؛ هذا الحب العميق بين الكلمة والزيدان يجعله يعرفها بـــ: " الكلمة: تصنع الحضارة، لكن الحضارة قاتلة للكلمة التي صنعتها"(٥٩)؛ هذا التعريف يكشف عن جانبي الحضارة العقلي والعاطفي الذي تمثل الكلمة جانبه العاطفي، ولكن حين تقوى الحضارة وتتمرد على العاطفة الصادقة في الكلمة فـــ " صدق الكلمة يشعل ثورة العقل"(٦٠)، ومن ثم يخضع لقوته القاتلة: "زوربا: الكاتب المجنح: لم يكن إلا شاعرًا ينثر كلماته الموسيقية بين ضلوع الناس
زوربا المؤرخ: لم يكن إلا نسابة يعرف أصول وجذور الناس.. فيضع التقييم من أجل الحفاظ على القيمة!
زوربا الكلمة: لم يكن إلا ذلك الفيلسوف الحكيم! كان مثل سنبلة تطلع ألف حبة.. مثل حبة القمح! حتى مات النبض.. وتبقى السنابل تطرح من جذوره"(٦١)
ولقد كان الزيدان يرقص بكلماته المجنحة وحتى بكلماته الحكيمة منا رقصة زوربا العجوز الذي وصفه كزانتكزاكي بقول: "هو الذي علمني أن أحب الحياة"(٦٢)، وهذه الرقصة التي أبدعها الزوربا اليوناني رقصة تؤدى على أنغام موسيقية في صفوف جماعية قد يؤديها الفرد وحده ثم يعود إلى الصف، بينما هي مع الزيدان تؤدى على أنغام الكلمات ويؤديها الزيدان منفردًا، " وقد وجهت– المتحدث الجفري– للأستاذ عبدالله الماجد ذات يوم: رسالة مفتوحة عبر صحفنا قلت له فيها: أتذكر في النداء عليك..عبارة زوربا القديمة الطوافة: أيها المعلم هل يبيع الطاووس ريشه؟!"(٦٣)، إن أجمل مافي الطاووس هو ريشه فهل يتخلى عنه! وفي المقابل فهذا الزوربا يرى أن أجمل ما يمتلكه هو الكلمة فهل يتخلى عنها يومًا!
وفي موضع آخر يرى الجفري في أستاذه الزيدان صورة أخرى من الشاعر الإيطالي أوجينيو مونتال، في محبته للعزلة، يقول:" إنني أعيش في عزلة روحية.. كأسلوب وحيد

يمكنني من تحمل حقائق الحياة"[٦٤]؛ وليست العزلة للأدباء والمفكرين والفلاسفة إلا مساحة روحية للتزود بغذاء الروح كما يمنحهم مزيدًا من التأمل في قضايا الكون.
هذا التشابه بين الزيدان ومونتال الذي يتمثل في ميل كل منهما إلى العزلة أوصلت مونتال إلى جائزة نوبل، ولم يجاوز الزيدان جائزة نادي جدة الأدبي، إضافة إلى تشابه آخر بين ديوان مونتال الذي عنونه بـــ(عظام سمكة) ويمزج فيه بين الحياة والموت، وبين كتاب الزيدان (تمر وجمر) فسر فيه العلاقة أيضًا بين الحياة والموت، هذه المساحة من التشابه تؤكد أن محفزات الإبداع مشتركة برغم اختلاف الأعراق بين المبدعين.
ب/ الموت: جمع حب الكلمة والحكمة بين الزوربا والزيدان والجفري وكانت تمثل بالنسبة لهما الحياة؛ ولكن أول ما يطالعنا به الجفري من تلك العلاقة هي الموت؛ وذلك من خلال خبر النعي:" مات زوربا عصرنا هذا، وحكيم فلسفتنا.. وآخر الناس!! كأن ذلك النعي الذي تلقاه (كزانتزاكي) في برقية تحمل إليه وفاة: الصديق العجوز(زوربا)"[٦٥].
وبرغم أن هذه الصفة أو التسمية قد لاحقت الزيدان في الصحافة السعودية حتى في حياته إلا أن الجفري يبدأ بالتسمية وإطلاقها وربط علاقة التشابه بين الاثنين من آخر المطاف الوفاة؛ نظرًا لما يتطلبه الحدث، فصورة الشبه هنا تتمثل في نقل خبر الوفاة مع الوصف بالفلسفة والعلم، وكأنها علاقة تواصلية بين زوربا اليونان وزوربا القرن العشرين العربي:" هاأنذا أسمع (زوربا) القديم، يبرق إلى زوربا القرن العشرين بكلمة أخيرة مثله.. يقول له فيها: عمت مساء أيها الشيخ العجوز.. الحافل بحكمة الحياة!!
زوربا صديق العمر العجوز: نحن من حمل جثمانه إلى مثواه الأخير!
زوربا الزخم الفكري والموسوعة المتنقلة على قدمين، والإنسان الذي لا يعوض: لم يكن في نظرته الأخيرة إلا مغضيًا، زاهدًا في الدنيا، متشحًا بالصمت.. حين تأخر عنه الوفاء"[٦٦].

فهذه التسمية حصدها الزيدان من تلميذه الجفري الذي وجد فيه مثالًا للكاتب والمؤرخ[٦٧].ذلك الجبل الكبير من الثقافة طالما حدث الجفري نفسه:"نادرًا ما كنت أجرؤ على الكلام حين صوته يعلو ويتدفق علمًا وفكرة وتحليلًا وحكمة. مالذي يستطيع أن يقوله المثقف لغول ثقافة مثلك"[٦٨]. وإمعانًا في هذا الوصف الذي يقارب بين الشخصيتين ففي غير موضع يسمى الزيدان الجفري سيقور[٦٩]، يقول: "حاولت أن أقرن صوت الزيدان بصوت زوربا وما كتبه الروائي اليوناني كزانتزاكي في روايته الموت والحرية مصورًا أبعاد الحب الذي يربط بين الإنسان البطل وبين تلك العين الآخذة التي تنطلق برؤيتها إلى آماد الحرية والتعبير عنها والرحلة الإنسانية من داخل أعماق الإنسان إلى صميم نفوس الناس.
"كانت رؤية هذا العجوز (زوربا القرن العشرين) تتمدد وتكبر وتعبر المحيطات؛ لأنه يعبر عن إنسانيته؛ ولأنه كإنسان يغبط الشاب المنتصر على ملل السنين الطويلة المديدة.. تلك التي كان اسمها: عمره"[٧٠]، وتتماثل هذه الشخصية زوربا السعودي مع اليوناني في أن كليهما يحمل الخصائص الإنسانية ذات الأبعاد السامية القيمية مما جعل هاتين الشخصيتين تخلدان في الأذهان، وتنتقلان من تراث يوناني إلى آخر عربي.

خامسًا: الكتابة بين الزيدان والجفري:

وتظهر العلاقة الكتابية التي جمعت بين الزيدان والجفري في مظهرين يكشفان عن مدى ارتباط التليمذ بأستاذه؛ هذه العلاقة هي: الإملاء والأسلوب:

أ/الإملاء: يقول بلانشو:" إن الملفوظات اللغوية، وخاصة الأدبية، الشفهية أو المكتوبة هي –مشروطة بالتفسير بمعنى أن النقد لابد أن يظل بمثابة (إعادة بناء للنص)، رغم التهديم الذي يمارس عليه؛ لأن تهديم اللغة قائم في التهديم المتجلي في النص نفسه، أي ما يسمى ب(موت المؤلف)أي غيابه وتلاشي ذاتيته في النص عامة" (٧١).

فهذا يعني أن النص حين ينتقل من طور الشفهية إلى الكتابة قد يناله بعض التغيير والتفسير، فكيف به إذا انتقل من التلميذ الذي ينقل عن أستاذه، والحقيقة أن هناك مواضع عدة من هذا الكتاب أكدت على جانب التملية التي يقوم بها الزيدان مع الجفري، وهي تحمل جانبي المتعة بين الأستاذ الذي يستمتع بنطق الكلمة وتلميذه الذي يحرص على تدوين كل ما ينطق به أستاذه؛ لذلك كان الجفري يحرص على استطاق أستاذه دون انتظاره ليبدأ:" لقد كان أبي الروحي أشاكسه في بعض اللحظات حتى أستنطقه العبارة والصور والحكمة.. فيروي عطشي بالمعرفة، وبالارتياح في رحابة المنطق..في رمضان قبل الماضي كان يشعر ببداية تعبه الجسماني وجاء إلى مكتبي ليقول لي حزينًا وشجنًا:
قررت التوقف عن الكتابة لأستريح فقد تعبت يا ولدي!!
سألته مندهشًا تعبك ليس من الكتابة!! فما الذي يتعبك؟
قال الكلمة جهاد ولابد للمحارب من استراحة.. وهذا الشهر الكريم يحضنا على التأمل.
قلت أحاصره: أنت تستريح عندما تملي كلمتك، وترددها.. ويتعبك أن تحبسها، أو تشعر أن لا أحد أصغى لها!"(٧٢) ، فهذا النص يكشف عن متعة الزيدان بإملاء كلماته، هذه المتعة التي تحمل في ذاتها ذاتية المؤلف وتنفس عنه نفسيًا واجتماعيًا، وتحقق ذاته، وتعطيه قدرة على الوجود، وكأنه يتحرر من ذاته بالكلمة المنطوقة.

ومما يورده عنه أيضًا: " حين توقف الزيدان عن إملاء كلماته فإنه لم يتوقف عن صياغة الكلمة: يقولها، ينثرها، يجيب بها على أسئلة منهمرة عليه لا تتوقف عن استفتاء رأيه، ورجاحة حكمته!"(٧٣)، وهو هنا يكشف عن جانب وظيفي مهم فيما كان يقوله الزيدان؛ لقد كان حريصًا على أن يتحول الكلام إلى فعل ووظيفة ولما وجد أن الكتابة عبر الوسائط لا تؤدي ذلك أصابه العجز واليأس فلجأ إلى المتأثر الأول السامع الذي ينقل عنه الجفري فأصبح يصب كلماته عليه، فيحملها بشغف المحب الذي لا يتعلق بالكلمات فقط بل بالصوت الذي نقلها أيضًا:" وكنت أحرص كثيرًا على الإصغاء في حضرته... وصوته ينساب في البدء، مثل تدفق النهر، ثم يتعاظم الصوت بدون أن يعلو على صوتك، ولكنه يتعالى بالإصغاء إليه..فهو صوت يجسد حلاوة اللغة، وهو ينسج بنبراته: شاعرية الضاد"(٧٤).

لقد اكتسب الزيدان هذه الصفة النادرة وهي (الإملاء) ممن سبقه من كتاب كانوا يعنون بالجرس الموسيقي للكلمة، لذلك يلجأون إلى إسماع أنفسهم والتغني بكلماتهم قبل كتابتها وقد ساعد الزيدان على البراعة والاشتهار بذلك مرافقة تلميذه المحفز له الجفري في غالب أوقاته:" قلت له في الرسالة تذكرني بالرافعي – يرحمه الله– فقد كان لا يطيق مسك قلم، ولكنه كان يقف في وسط الغرفة ويدور في مساحتها وهو يهدر، وينفعل وهو يدمع و يبتسم ويملي أفكاره ارتجالا"(٧٥)، هذه الملاحظة بعثها الجفري إلى الزيدان في رسالة مكتوبة فكان جواب الزيدان:" ذلك أن الرافعي يقرأ بالأذن أكثر مما يقرأ بالعين! ولقد كان هذا التغيير للقراءة بالعين إلى القراءة بالأذن مصادفة حولني إليها صديق أقرأ له ويقرأ لي ما يكتبه الرافعي، فبدل أن أسمع بعين قارئة.. كنت أطرب بالأذن القارئة، فالجرس في الكلمة هو تلحينها.. يأتيك بالطرب"(٧٦).

ومما يؤكد تلك العلاقة المعتمدة على الإملاء من الزيدان والكتابة من الجفري مواضع أخرى من الكتاب منها:" تقول عبارة الماجد: أحسن الأشياء ما كان مبتورًا لم يتم" والتقطها الزيدان، وقال لي مماليًا اكتب يا سيقور: وأخذ يملي علي تحليله القصير لتلك العبارة.."(٧٧). وأيضًا: "قال اسأل يا سيقور وسأجيبك إملاء كالعادة وأنت تدوكر الحديث وتبخره بعطر العنبر والعود"(٧٨)، وهذا ما يؤكد أن ما يملى لا يعود ملكًا للمملي بل يصبح تفسيرًا للمملى عليه؛ لأنه يعدل وينقل ويغير فلا يصبح صورة أسلوبية لمن أملى.

وقد يغير المملي الكثير مما يقوله؛ لأن النص لم يعد وثيقة ثابتة:" كان يومًا يبكي في مكتبتي وهو يملي علي مقالًا له عنوانه: (التاريخ يتحدى.. والواقع يتصدى) ثم لم ينشره حينها، حتى قرر بعد فترة أن يعطيه لإحدى الصحف فذهب إلى مكتبها لإعادة إملائه من جديد"(٧٩).

ويبدو أن المملي يركز كثيرًا على الوظائف التي تؤديها الإملائية فإذا تلاشت وانتهى الحافز توقف عنها:" كنت ألح عليه في تسجيل حوارتنا معه.. فيضحك ويقول: بعدين ستسأم مني! وكنت أعرض عليه ساعة من نهار أو مساء يتحدث هو وأكتب أنا !

لكنه تعب حينما لم يعد لديه حافز"(٨٠)، هذا الحافز الذي يتجلى في صورته الفكرية أو التعليمية أو الاجتماعية(٨١)، فإذا انتهت هذه الوقائع المتوقعة ولم يتحقق الغرض منها توقف الإملاء.

ويتأكد هذا المعنى في ما ذكره الجفري:" أعرف أن حجتك: افتقارك إلى من تملي عليه أفكارك، وخواطرك.. لكن هل نعتقد أن هذا السبب يقوى عليك إلى الحد الذي يحول بينك وبين تدوين أفكارك وتزويدنا بعلمك وثقافتك؟!"(٨٢).

ومن الوظائف التي يحققها الإملاء أن المملي يتلقى موقف القارئ مباشرة مما يمليه ويتحقق بذلك قبوله أو رفضه" هذه الكلمات: نشرت في الصحف المحلية.. لكني كنت المتلقي الأول لها منه.. حين كان يملي علي.. وكنت أشاكسه أحيانًا.. وأعارضه .. ونضحك معًا"(٨٣).

كما أن الإملاء يعطي شعورًا مضاعفًا في تحقيق التنفس النفسي إزاء موقف معين أو قضية معينة يكتب عنها المؤلف:" سناء محيدلي: دمعت عيناه – يرحمه الله– حين كان يملي علي مقالًا عن الشهيدة (سناء محيدلي) مستفزًا المزيد من شجونه.. فقلت له:

أما زلت تتذكر الشهيدة (سناء محيدلي) وقد نسيها الكثير، بعد أن كانت خبر بطولة"(٨٤).

ويحقق الإملاء وظيفة أساسية هي الاستماع:" وجهت له هذه الرسالة عبر صفحة كنت لأعدها في صحيفة البلاد بعنوان (كل شيء). قرأها.. أو طلب مني أن أقرأها له .. وبعد سماعها، أخلد للصمت .. لم يفعل أكثر من أن نظر إلي، وقال: أنت أكثر الناس خبرة، ومعرفة بالأسباب التي سبكتها اتهامات متسائلة حمالك الله وحمى جيلك المرهق بالأسئلة"(٨٥).

ومن أنواع الاستماع التي يستمتع بها:" هذه ليلتي:

أصغي إلى صوت (أم كلثوم) في موعد حفلتها الشهرية وجاءني بعدها ليقول اكتب الآتي: سهرت أسمعها صوتًا.. صوتًا قبل كل شيء وشعرًا شعرًا هو الشيء ولحنًا.. لحنًا هو زينة الأشياء فإذا بي أقولها: لا يبعد على حفيد الشعراني أن يرتفع بهذا اللحن ولا يضيره

أن يسقط له لحن فقد اقتنى واغتنى ولن يضار لون النضار أن يختلط بمعدن آخر.. فصوت أم كلثوم هو المجود للحن والمزين للشعر كلاهما الشعر والملحن يرتفعان لهذه التي غلبت وحيدًا وحبابة وسلامة والميلاء كأنما ابن سريج قد ادخرها نفحة من نفحات العقيق الأول.. هدية منه إلى النيل إلى الفرات إلى الأجيال لبنانية ومغربية ! كأنما آذان المهرة صقلت الصوت بألسنتها تقول (الآه)"[٨٦].

ومن الأسباب التي جعلت الإملاء سبيله الملل فلم يكن يستطيع الصبر على الكتابة وجلدها وما تحتاجه من لحظات حارقة؛ لذلك كان الإملاء والحوار أقرب إلى نفسه، وهذا هو الذي حال بينه وبين كتابة مذكرتاته، يقول عنه القاص حسين علي حسين وقد طرح عليه فكرة كتابة المذكرات:" وفاتحته في رغبتي، لكنني وجدت الرجل ملولًا.. فقد كان من النوع الذي إذا زارك لن يمكث في مجلس أكثر من دقائق ثم ينطلق إلى عمله أو منزله أو أي مكان آخر لكنه في كل مرة كان يملي علي مجموعة من الذكريات، كنت أنشرها فورًا في مجلة اليمامة، ثم انقطعت عن زيارة الزيدان أو قل قلت رحلاته إلى الرياض، كان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات وقد كتبت في الصحف أطالبه بتسجيل ذكرياته، لكنه كعادة مبدعي الكلمة يفضل ألا تكون ذكرياته من ذلك النوع المدرسي الجاف"[٨٧].

ومن الأسباب التي كانت داعية له إلى الإملاء تحقق المتعة الجمالية التي لا تكتمل إلا بالنطق والسماع والاستماع فكأنها اللقمة التي تطهى وتشم وتؤكل بحاسة ذوق متيقظة" الزيدان كان لا يستخدم قلمه وإنما كان لسانه قلمه كانت الآلات تنصت بحب له: متحدثًا من خلال التلفاز أو من خلال المذياع .. فيتحدث وكأنما يغرق في بحر كانت العبارة الزيدانية تمتاز بالرشاقة وبالتوافق وبالطباق وكان يسعدنا في كثير من الأحيان إذا ما لجأنا إليه سائلين عن أي مسألة لغوية أو بلاغية وكان لا يجد غضاضة في أن يطلب الوقت ليلجأ إلى المراجع ليبحث عن تفسير لما نسأل"[٨٨].

وينبغي القول أن النص حين يحلل يسلط الضوء على النظريات التي يستند إليها مع عدم إهمال نقطة أن للنص خصائص ذاتية؛ فإذا كان الكاتب قد أملى هذا النص هذا يعني أن النص قد اكتسب صفاتًا ذاتية تعددة من المملي والكاتب لذلك لم يعد ملكًا للكاتب فقط.

ب/أسلوب كتابته:

إن الأسلوب هو:"نظام تؤدي فيه اللغة وظائف مخصوصة"[٨٩]، تلك الوظائف التي تتحقق من خلال القراءة الخلاقة " لم يكن يؤرخ، لكنه كان يسجل الحدث ولا يمنهجه بل يقولبه حتى يصيغه بأبعاد متعددة، وأسلوبه في الكتابة: العبارة القصيرة المكتملة التي لابد أن تضع في نهايتها نقطة. عبارته لم تكن مفتوحة، كما نسمي نهايات القصة القصيرة الحديثة! أسلوبه سهل ممتنع يستخدم فيه أحيانًا اللفظ البرقي، لكنه يصوغه في عبارة أدبية"[٩٠]، هذه الكتابة أو الصفات الأسلوبية هي الغالبة على الكتابة الصحفية، والتي كانت عملًا شبه وظيفي يقوم به الزيدان في حياته.

ومن أبرز المؤثرات في أسلوبه تلك الزوايا التي كان يكتبها في الصحف، فقد كتب في عكاظ والرياض:يقول سعد الحميدين عنه أن الزيدان كان شديد الحرص على زاوية غرابيل اليومية في جريدة الرياض الحرص الذي لا تجده عن الشباب :" لقد تملكتني الحيرة والحسرة ذات يوم قريب عندما هاتفته مستفسرًا عن صحته وحالته، ولماذا انقطعت غرابيل الجمعة فكان جوابه: خلاص مالي ومال الكتابة" [٩١]وكان قد سئم الكتابة حقًا فتركها. إن الكتابة الصحفية تقتضي هذه الجمل القصيرة التي يكتب بها، كما إملاء مقالاته على طلابه ثم تدوينها ونشرها كان يعطيه انطباعًا عن موقف الناس مما يكتبه وردة الفعل قبل النشر.

ويبدو أنه قرر في أخريات حياته أن يتدرج في عزلته حتى مع الكتابة إذ وقف كتابته على جريدة الرياض فقط، ويقول عمر أبو زيد عضو في اليمامة الصحفية: مع عيد الفطر المبارك اتصلت به هاتفيًا وكان معافى من المرض الشديد ورد علي بصوته الجهوري:" أهلا يا عمر إيش أخبار الرياض الجريدة؟ بلغ تحياتي لهم جميعًا وأنا ياعمر وقفت نشاطي حاليًا للرياض من خلال الزاوية الطريفة الجميلة (غرايبل) فلم تعد صحتي تسمح بأكثر من ذلك وعسى الأيام تسعفنا بتقديم أكثر من ذلك"[٩٢].

سادسًا: موقف الزيدان من الحياة:

وتتجلى نظرة الزيدان للحياة من خلال قطبي الحياة في نظره وهما، المرأة والرجل؛ وقد ناقش الجفري العلاقة بين المرأة والرجل في فكر الزيدان من خلال محددات معينة أهمها:

العاطفة: إذ يرى زيدان أن العاطفة قد فقدت في هذا الجيل، من خلال ضياع الإيمان و وتلاشي الحب وعدم لاقتناع ببقاء الأسرة، لقد أصبح الشباب في هروب دائم من الالتزام بروح الجماعة التي يفرضها وجود الأسرة وفي الميل إلى الفردية القاتلة، مما جعل العاطفة في نظر هؤلاء الشباب جسدًا فقط؛ و ليس عشقًا ذلك الذي يركز على الجسد[٩٣].

العمر: في حين تمثل قضية العمر للمرأة هاجسًا مؤرقًا فإن الزيدان لا يتطرق لها، مما يؤكد أن موضوعاته التي كان يطرقها متفردة؛ إذ ينظر إلى العمر من منظور مغاير وهو موقف العاشق منه، فيذهب إلى التأكيد على أن العاشق العذري لا ينبغي أن يزور عمره[٩٤].

الحب والزواج: وبالرغم من أن الفترة التي يكتب فيها الزيدان ما تزال فترة محافظة وانغلاق مجتمعي إلا أنه يقف عند قضية الزواج عن الحب أو عن طريق الأسرة ومدى نجاح كل منهما، وهو يؤكد أنه لا يمكن البت في نتيجة أي منهما فقد يكون الزواج حبًا لرؤية سابقة ثم يزداد بالزواج، وقد يموت. كما يرى أن الزواج هذه الأيام يتعثر أمام النظرة المسبقة للفتاة ابنة الوطن ونظرة الشاب لها، إضافة إلى صعوبة توفير السكن والأمور المادية، علاوة على التعامل السطحي مع المرأة وتعامل الفتاة مع الرجل ونظرتهما جميعًا إلى المشكلات التي تعبر حياتهما[٩٥]، هذا فيما يخص التأسيس أما الروابط الأسرية فقط تفككت لابتعاد الأب بانشغالاته عن الأبناء والأسرة وتشاغل الأمهات كذلك فأصبح الولد ابن البزازة، رغم أن الحق أن الدور الأكبر يلقى على عاتق الأم فالأب يكد للمعيشة لكن الأم ترسي هذه المعيشة وتؤسس لها[٩٦].

المرأة: يصنف الزيدان النساء إلى أنواع، فيقول: أشهر امراة في التاريخ الإسلامي مريم، وأجمل امرأة في حسه المحترقة برغم ماسحة البلاط، وأجمل امرأة على الإطلاق أمه، وأقوى امرأة أم حبيبة بنت سفيان، وأحقر امرأة امرأة لوط، وأهم ما يطلب من المرأة الحب والحنان، لأن الرجل طفل[٩٧].

كما يشير إلى الأسباب التي تفقد المرأة إحساسها بأنوثتها؛ إذ تفقد المرأة اهتمامها بالرجل عندما تسترجل، وفي المقابل يترك الرجل اهتمامه بالمرأة حينما تسقط الفحولة[٩٨]، وكأنه يؤكد على صفة الأنوثة التي ينبغي أن تظل طاغية على شخصية المرأة حتى يقبلها الرجل.

سابعًا:البحث عن الذات في كتابة الغير:.

إن الكتابة عن الغير هي مزيج من الخيال المعتمد على التوثيق التاريخي؛ بمعنى أن يعمد كاتب إلى شخصية معينة بارزة فيجمع في توثيق تاريخي معتمد جملة من المعلومات عنها؛ بحيث يصبح عمله حقيقيًا، ثم يصبغه بالطريقة السردية الممتعة، المعتمدة على التأمل؛ غير أن ما حدث في هذا الكتاب أن المؤلف قد بدأ عند نقاط محددة من السيرة؛ والسبب في ذلك؛ أنه كان في حالة مرافقة شبه دائمة للشخصية المعنية بالسيرة، مما يعني أنه قد قضى وانتهى من مرحلة التأمل في فترة المصاحبة، وما يكتبه الآن هو مايعنيه، من هذه السيرة، إضافة إلى استغنائه بالمعايشة والمعاصرة عن التأريخ لهذا، وبهذا التحديد المسبق فقد ظهر كيف أن الجفري في هذا الكتاب بدا وكأنه يكتب عن نفسه، يظهر ذلك في الضمائر التي تعود عليه في الحديث في مثل قوله: " إن من أقسى قرارات الحياة: أن نودع من أحببناهم بوجداننا، ومن رأيناهم بمعرفتنا، ومن صادقناهم بعقولنا، ومن رووا تربة عقولنا دومًا بالمعرفة، وبزاد الثقافة، وبماء الوعي"[٩٩]، فهو يرى في الزيدان مرآة لذاته التي افتقدها بوفاته.

ويمكن القول أن الجفري يبحث عن التكامل مع هذه الشخصية التي يكتب عنها، هذا التكامل والاكتمال الذي يظهر بأبعاده النفسية والأدبية، ويتجلى هذا البعد النفسي في مثل قوله:" كان يجدني هو: أبحث عنه في شدة احتياجي له! يقول عن هذا الإحساس لديه بمعاناتي، دون أن يخبره بهذا مخبر: لن أدعي قوة الحاسة السادسة لدي من أجلك ولم تتضامن تلباثيتي معك لكن المفتاح دائمًا تجده في الشخصية ياولدي!"[١٠٠] ، ويظهر الاكتمال النفسي في قوله:" قلت أحاصره: أنت تستريح عندما تملي كلمتك، وترددها، ويتعبك أن تحبسها، أو تشعر أن لا أحد قد أصغى لها! قال وهو يضرب الأرض بين قدميه بعصاه: سيذكرني قومي.. أكمل يا سيقور!!

نعم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر"[١٠١]، ويمكن أن يظهر هذا الاكتمال النفسي والأدبي معًا في مثل قوله:" يومها توقفت معه عند هذه الفاصلة من الحوار وهو يقول لي: أنت فتى مرهق ترهق من يحبك ومن تحبه فلا ترهقني بالتحريض ضد الكلمة ولا حتى بالتحريض على الدفاع عن الكلمة فقد صرت شيخًا عجوزًا أحتاج إلى ومضة أتجدد بها وفي لمعتها"[١٠٢].

وقد يستعيض الجفري أحيانًا بالزيدان للتعبير عنه حتى بعد وفاته يقول: " وعصت دمعي على عيني لحظة تلقيت نعيه.. ولحظة حملته الأكتاف إلى مثواه الأخير. وتذكرت دموعه هو فقد كانت له دموع سخية مدرارة تنسكب بلا إرادة منه بل بالكنوز التي تختبئ في مشاعره"[١٠٣]، هذا الموقف ذكر الجفري بموقف مع الزيدان إبان حياته وكأن الحياة والموت يقفان في خطين متوازيين يحاور أحدهما الآخر: " قلت له يومًا: إن البكاء هو قمة الحنان!!

وحين جاءني النعي بخبر موته تحجرت الدموع في عيني، حتى رأيته نعشًا محمولًا على الأعناق ..فاستمطرت عيني دموعها... وأنا أرى نعش هذا الإنسان الذي عاشرته في زهوة عمر...فكان بالنسبة لي يمثل الوجود الذي يشرع لي نوافذ الضوء، ويفتح ستائر الأمل، ويدعوني لرؤية الأبعاد على امتدادها الأرحب!"[١٠٤].

وكان الزيدان على علم بهذا الاكتمال الذي يتحقق مع الجفري لذلك لم يكن يجد حرجًا في إنابته للكتابة عنه، وفي المقابل كان الجفري يجدها فرصة للتعبير عن مشاعره تجاه الزيدان، يتمثل هذا في أحد المواقف التي يرويها الجفري:" وكان يكتب لنا في عكاظ

عموده اليومي الشهير: (كلمة ونص) وبقي مكان العمود فاغر الفاه، وهو كاتب ملتزم لم يكن يخل بذلك الالتزام.. فسمعته يقول لي بالهاتف: اكتبه غدًا بالنيابة عني!
قلت في مفاجأة طلبه: وأنا أكتب بالنيابة عنك.. ومن أنا؟!
قال ضاحكًا: أنت حران، ترشح عرقًا ورطوبة، وأنا مبتهج في نسمة الطائف الجميلة.. أرني ماذا ستقول؟
حقًا .. أسقط في يدي فقلت له على الهاتف:
سأكتب عن الرحيل انطلاقًا من عبارة الكاتب اللبناني الروائي "كرم ملحم كرم" القائلة: (الرحيل: انتصار لمن يهفو إليه، وكلما جد في الوثبة استأنس بالدعة! قال دعني في الدعة.. وانتصر أنت بالوثبة! وحاولت يومها أن أترسم نهج وأسلوب " ولي الدين يكن" أو إبراهيم اليازجي أو جبران خليل جبران وإن كان لم يغره بشجنه، وإن أطربه بشجوه، كما قال لي بعد ذلك!! وعاد في اليوم التالي كاتبًا يصهل على تلميذه/ أنا: ولقد نجحت في إثارتك وتحديك!"(١٠٥).

وكما كان الزيدان يمتص مشاعر الجفري وعبر عنها بعد وفاته فقد كان الجفري يقوم بهذا الدور في حياة الزيدان:" أما الزيدان فقد استطاع أن يمتص توتري في الكثير من اشتعالات الغضب، وانفعالات المصادمة البشرية حتى كأنه يوسدني بكلماته وسادة من زئبق رجراج يمرجح رأسي، وخواطري، وانفعالاتي حتى تهدأ.
ويقول مستطردًا بعد الحالة: لكي تحسن التفكير .. عليك أن تصعد فوق نفسك وفوق أشيائك الصغيرة، وفوق مبتغى لحظتك ثم.. تنظر إلى الآخرين!! الفوقية التي لا تجعلك متكبرًا على الآخرين تمنحك فرصة رؤيتهم بنظرة أكثر شمولًا من كل الزوايا .. أما في الغضب والانفعال، فلابد أن تفقد هذه المميزات"(١٠٦).

إن الاكتمال الذي يجمع بين الزيدان والجفري يشبه كثيرًا ذلك الذي يكون بين الأب وابنه وبين التلميذ وأستاذه وبين الصديق وصديقه غير أنها اجتمعت جميعًا بينهما في كتلة مشاعر لم يستطع الجفري حتى بعد رحلة المصاحبة في حياة الزيدان والتأمل معه والكتابة بعده أن يترجمها" أفتقدته في ركائز أساسية لحياتي: فقد كان الصديق المؤتمن، والأذن التي تصغي لي في كل الأحوال. وكان الصدر الحنون الذي يحتوي أرقي، وهمومي وأسئلتي. كان مخزن أسراري التي أقف أمامها وأبوح. هو الذي علم عقلي الطريق إلى الحوار، والتفكير والرجاحة. هو الذي غذى فكري بالقراءة على درب الثقافة. هو الذي هدهد مشاعري بالتلقي منها، ومجاراته في شجونها حتى تهدأ. وهكذا أصبح اليوم يتيمًا.. وأعرف أن أبناء الزيدان كثر .. من الذين تعلموا على يديه، ومن كتبه، أو من مقالاته، أو مدرسته"(١٠٧).

Abstract
Self-writing in the biography of others
(Read in the twentieth century Zorba / Abdullah al-Jafri)
By Dalal Bnt Bandar

This paper overviews features of biographies when writing about others in a book under the title of (Twentieth Century Zorba) by the Saudi author Abdullah Al Jaffry. He wrote this book about Mohamed Hussein Zidan because of their close relations. They were study colleagues and then fellows and friends. It was natural, therefore, for the emotional side to prevail not only in this book but also in all Al Jaffry's writings because it is a prominent feature in them. Also, his biographic choices pertained similar features to his own character. He seemed as if he is writing about himself through writing about others.The paper discusses the following: the main structure of the book, biographic references approved by the author, as well as biographic thresholds. There is also a comparison between Zorba and Zidan in similarity and between Zidan and Al Jaffry in biography. And Finally, a detailed outline of self -search through writing about others.

الهوامش

(1) انظر إسماعيل، عزالدين (٢٠٠٧م)، الأدب وفنونه. دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٣م، ص٢٨٥.
(2) النجار،حسين فوزي (٢٠٠٣م)، التاريخ والسير. ١٩٦٤م، ص١٤.
(3)انظر زعلة،علي، الخطاب السردي في روايات عبدالله الجفري. بيروت، دار الانتشار،٢٠١٥،ص٥٠.
لوجون، فيليب، السيرة الذاتية(الميثاق والتاريخ الأدبي) ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الدار
(4) البيضاء، ١٩٩٤م،، ص٨
(1) فهمي، ماهر حسن، السيرة تاريخ وفن،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ط١، ص٢١
الباردي، محمد ، عندما تتكلم الذات– السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب
(2) العرب، ٢٠٠٥م، ص٢٧.
الجفري، عبدالله (١٤٢٩هـ) الزيدان زوربا القرن العشرين. جدة، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر،
(3) ١٩٩٢م، ص٢.
(4) إبراهيم عبدالدايم، يحيى، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، بيروت، دار إحياء التراث الأدبي، ١٩٧١م،
) إبراهيم، شيماء عبدالحسين، أنماط السيرة الذاتية– دراسة وتحليل، مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، مج٨، ع٢٩، ٢٠١٣م
(1)حزيران، ص٨٥
انظر أمل التميمي ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الدار البيضاء، المركز الثقافي
(2)العربي، ٢٠٠٥م، ص٢٨.
أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث– بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة، بحث
(1)ناصر، بركة، الدكتوراه، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٣م،
ص٣٤ .
) إسراء الخزاعي، السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب، أطروحة دكتوراه،العراق ،جامعة القادسية، 2(
٢٠١٧م، ص٩٧.
راينولدز، دوايت.ف، ترجمة النفس– السيرة الذاتية، ترجمة: سعيد الغانمي، أبو ظبي، هيئة أبوظبي للثقافة
(3) والتراث (كلمة)، ٢٠٠٩م، ص٣٢٥.
)راغب، نبيل (٢٠١٧م)، دليل الناقد الأدبي. القاهرة، دار غريب، ١٩٩٨م، ص١٤٣.(1

(2) انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٥.
(3)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٨.
(4)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٤٨.
(5)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٥٨.
(1)شرف، عبدالعزيز، أدب السيرة الذاتية. بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩١م، ص٨٢.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص.٢٨
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٣٣.
(2)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٣٨.
) البغدادي، عبدالمجيد، "فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي"، **مجلة القسم العربي، جامعة**
(3) **بنجاب**، لاهور، باكستان، ع٢٣، ٢٠١٦م، ص١٩٨.
(4) عباس، إحسان (٢٠٠٣م): فن السيرة. بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م، ط١، ص١٠٣.
(1) انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٥.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٦.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٨.
(1)الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٨٢.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٦٩.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٠٥.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٨٢.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٢.
(5) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٢.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢١.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٠.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٨.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٩.
(5) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٣٢.
(6) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٣٣.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٩٦.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٠٠.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١٣،١١٢.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١٥،١١٤.
(5) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١٩.
(6) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٢٣.
(7) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٢٢.
(8) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٦٨، ٨٣.
(9) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٣٨.

(10)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٦.
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص ١٨٤-١٩٦.
(2)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص..[٢]
(3)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص ١٢٦-١٧٦.
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص١٧٧.
(2)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص١٨٢.
(3) عباس، فن السيرة، ص٩٩.
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٩.
(2)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٠.
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٨.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٦.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٦.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٧٧.
(5) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٧.
(6) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٣٨.
(7) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٩٤.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٦.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٧.
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٧.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٦.
(3)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٦.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٩.
)بن ذريل، عدنان، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،
(1 ٢٠٠٠م، ص٩٠.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٨.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢١.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٦.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٨.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٣٢.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٤٢.
(5) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٦٨.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٨٦.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٩٣.
)انظر بليت، هنريش، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص. ترجمة: محمد العمري،
(3 أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،١٩٩٩ م،ص٢٤.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١١.

(5) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١٢.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١٥.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١٠.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص.١١٧
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٦٠.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٧٢.
(3)عياشي، منذر ، الأسلوبية وتحليل الخطاب. مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢م،ص٩٢.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٨٩.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٦٧.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٧١.
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٦٤ ص٦٥.
(2)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٧٠.
(3)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٧٤ص٧٥.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٧٨.
(5)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٧٨.
(1)انظر الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، ص٨١.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١١.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٨.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٩.
(3) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٣.
(4) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٨٤.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص١٨.
(2) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٢٧.
(1) الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين،ص٩٥.

المراجع والمصادر:

إحسان عباس ، فن السيرة، بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م، ط١.
إسراء الخزاعي، السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب، أطروحة دكتوراه،العراق ،جامعة القادسية، ٢٠١٧م،
أمل التميمي ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.
حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، ١٩٦٤م.
دوايت.ف راينولدز، ترجمة النفس– السيرة الذاتية، ترجمة: سعيد الغانمي، أبو ظبي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ٢٠٠٩م.
عبدالعزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩١م.
عبدالله الجفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، جدة، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، ١٩٩٢م.

عبدالمجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع٢٣، ٢٠١٦م.
عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٣م.
علي زعلة، الخطاب السردي في روايات عبدالله الجفري، بيروت، دار الانتشار،٢٠١٥.
شيماء عبدالحسين إبراهيم، أنماط السيرة الذاتية– دراسة وتحليل،مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، مج٨، ع٢٩، ٢٠١٣م حزيران.
فيليب لوجون ، السيرة الذاتية(الميثاق والتاريخ الأدبي) ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.
ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ وفن،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ط١.
محمد الباردي، عندما تتكلم الذات– السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م.
منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢م.
ناصر بركة ، أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث –بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة، بحث الدكتوراه، الجزائر ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٣م.
نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، القاهرة، دار غريب، ١٩٩٨م.
هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري، الدار البيضاء/ أفريقيا الشرق،١٩٩٩م.
يحيى إبراهيم عبدالدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، بيروت، دار إحياء التراث الأدبي، ١٩٧١م،

المراجع مترجمة باللغة الإنجليزية:

1-Ihsan Abbas, The art of biography, Beirut, Dar Sader ,1991
2-Israa alkozaei, Biography in the efforts of Arabian researcher, Doctorate of Philosophy In Arabic language and its Literatures, University of Al-Qadisiya, 2017.
3-Amal Al Tamimi, Women's Biography in Contemporary Arabic Literature, aldaar albayda, Arab Cultural Center, 2005.
4-Husayn Fawzi Al Najjar, History and biography, 1964
5-Dwight Reynolds, Self translation: Biography, translation: Said Al-Ghanimi, Abu Dhabi, Abu Dhabi Authority for Heritage and Culture, kalima, 2009>
6-Abd al-Aziz Saraf, Biography, Beirut, Library of Lebanon, 1991.
7-Abdallah Aljfri , Zidane Zorba twentieth century, jeddah , Okaz Foundation for Press and Publishing, 1992.
8-Abdulmajeed al-Baghdadi, The art of biography and its types in Arabic literature, Arab Section Magazine, University of Punjab, Lahore, Pakistan, the number32,2016
9- Adnan bin thureil ,Text and stylistic between theory and practice, Damascus,Publications of the Arab Writers Union 2000 m.
10- Az Aldin Ismaiel , Literature and its arts, Dar Alfeker Alarabi, Egypt 1963 m.
11- Ali Zaleih , Narrative discourse in Abdullah Aljefry novels, Dar Alentishar 2015.
12- shima Abdulhassin Ibrahim, Biography styles - Study and analysis, Journal of Center for Studies Alkofah, Iraq ,mg8 ,a29,2013m
13- Philip Logon , Biography (Charter and literary history) translated by: Omar Hali,Arab Cultural Center , Dar Albaida,1994m.

14- Maher Hasan Fahmi , Biography history and art, Cairo,Egyptian Renaissance Library,1970m,T1.
15- Mohammed Albardi, when inner self talking-Biography in modern Arabic literature, Damascus, Arab Writers Union , 2005m.
16- Munther Aieashi, Stylistic and discourse analysis , Development Center for Civilization, 2002m.
17- Nasser Barakh , Literary biography in the modern era - Research in the mechanisms of operating the texts and their effective references,Doctoral research, Algeria , Alhaj Lakhder university , Batnt, 2013m.
18- Nabil Ragheb, Directory of literary critics, Cairo , Dar Algharib, 1998m.
19- Hanrish Pliet, Rhetoric and stylistic towards a semiotic model for text analysis, translated by : Mohammed Alamri , Aldar Albaidah, east Africa , 1999m.
20- Yahya Ibrahim Abdaldaem, Self-translation in modern Arabic literature, Beirut, Revival house of literary heritage,1971m.